النثيرة «قصيدة النثر»

أزمة مصطلح أم أزمة موهبة..؟!

ما زالت قصيدة النثر «النثيرة» تبحث عن هويتها، فمثلما زاحمت مذاهب نقدية واتجاهات أدبية عديدة الأدب العربي والإسلامي الأصيل، فإن ما يسمى «قصيدة النثر» تحاول مزاحمة الأشكال الأدبية بارتداء ثوب هجين يجمع بين النقيضين، وهي تنقض أهم خاصية مميزة للشعر وهو الوزن. فهل يستطيع المروجون بناء مستوطنة أدبية لها في الوطن الأدبي العربي المغزو من كل اتجاه؟! توجهنا في (مجلة الأدب الإسلامي) بالسؤال حول الموضوع إلى عدد من الأدباء والنقاد المهتمين بالشأن الأدبي فماذا قالوا..؟!

فاروق شوشة

■ قصيدة النثر في نماذجها الرفيعة، وتجلياتها الكبرى رافد من روافد حركة الشعر العربي المعاصر، لكنها - أبدا - ليست بديلا عن التيار الأساسي في شعرنا العربي الذي سيظل إيقاعه ونغمه وموسيقاه في الدم والشرايين..

◁◁ **الشاعر الكبير فاروق شوشة** يقول عن قصيدة النثر في حوار لم ينشر أجراه معه محمود خليل:

قصيدة النثر في نماذجها الرفيعة، وتجلياتها الكبرى رافد من روافد حركة الشعر العربي المعاصر، تثريها وتغذيها وتتجاور مع سائر الروافد والنماذج والصيغ والأشكال. ويخطئ بفداحة من يمد أصولها إلى تراثنا ليستنبتها من كتابات «التوحيدي» ومواقف «النفري» وكتابات الرافعي وجبران وحسين عفيف أو ترجمات مطران.. أو غيرها من الموروث الذي أشرت إليه.. ولا بد أن نعترف بأنها فن غربي وافد.. يحاول البعض استنباته بكل الحرص، والنجاح. لكنها - أبدا - ليست بديلا عن التيار الأساسي في شعرنا العربي الذي سيظل إيقاعه ونغمه وموسيقاه في الدم والشرايين.. لذا فإن قصيدة النثر التي يكتبها هؤلاء المدعون تمثل جناية على الشعر الحقيقي - كما اعترف بذلك أدونيس مؤخرا - لأن هؤلاء اللصوص الذين انفلتوا من كل إطار للقيم، ومن كل ضابط للأخلاق. ومن كل قيد للوزن العروضي قد أفسدوا بعملتهم الرديئة سوق الشعر.. وساعدهم على ذلك بعض مدعي النقد المزيفين في ترويج هذه البضاعة الفاسدة الخالية من «ماء الشعر» كما خلت من ماء الحياة والحياء.. ولعل جهل هؤلاء النقاد بأوزان الشعر وأعاريضه. هو الذي جعلهم يتبنون قصيدة النثر.. لأنها لا تتطلب وعيا بالأساس.

د . محمد الشنطي

■ **أدرجت قصيدة النثر ضمن دعاوي التحرر والانطلاق ومواجهة جدار اللغة وغيرها من الشعارات الثقافية التي تخفي مضمرات إيديولوجية وسياسية لا تغيب عن عين المراقب البصير.**

◁◁ **الدكتور محمد الشنطي** أستاذ الأدب والنقد، ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة جدارا بالأردن يقول:

قصيدة النثر مصطلح ملتبس، أثار العديد من الإشكاليات، وهو مصطلح أطلقته(سوزان برنار) الأديبة الفرنسية في كتابها "قصيدة النثر من بودلير إلى أيامنا " وتحدد أبعادها: أولا - بالوحدة العضوية المستقلة التي تفترض إرادة واعية للانتظام في وحدة منسجمة ومتماسكة تميزها عن الشعر المنثور، وثانيا - بما تسميه المجانية، بمعنى أن قصيدة النثر دون غاية بيانية، فهي لا تتطور نحو هدف مقصود، وتقترن فكرة المجانية بفكرة اللازمنية، وثالثا - تتسم بالإيجاز بعيدا عن الاستطراد وتنأى عن التفاصيل التفسيرية، وهو مصطلح يشير إلى الفوضى والنظام في آن،أي ينهض على المفارقة، فهي مبنية في جوهرها على اتحاد المتناقضات (نثر وشعر وحرية وقيد وفوضى ونظام)، ومرجعيتها كما هو واضح مرجعية غربية فرنسية، ولذلك فهي نتاج مرحلة في الثقافة الفرنسية لا تعرف القواعد، وتحاول أن تعتسف هذه القواعد في آن، وقد جاءت مجلة شعر في مرحلة غسقية من تاريخ الثقافة العربية لتكرسها وتستنبتها في تربتنا الأدبية، فكانت ضمن التوجهات التي تبنتها بعض المنظمات الثقافية المشبوهة في مواجهة مجلة الآداب البيروتية ذات النزعة القومية التي كانت سائدة في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن الماضي، ونحن لا نستطيع أن نتفهم المصطلح الخاص بقصيدة النثر دون أن ندرس ملابسات ظهوره ؛فقد تنازع المرحلة التي ظهر فيها تيارات ثلاثة: تغريبي وقومي وإسلامي، وتم إحباط المشروع الإسلامي على المستوى السياسي في تلك الحقبة ليتنازع الساحة المشروع التغريبي والقومي، وفي إطار هذا الصراع الفكري والسياسي كان الصراع الإبداعي بين النزوع إلى شعر التفعيلة الذي تبنته الآداب، وقصيدة النثر التي تكفلت بها كل من مجلة شعر ومجلة مواقف، وكان النزوع الأممي يحاول أن يتقاسم وظيفيا الساحة الثقافية مع التيار القومي،وأدرجت قصيدة النثر ضمن دعاوى التحرر والانطلاق ومواجهة جدار اللغة وغيرها من الشعارات الثقافية التي تخفي مضمرات أيديولوجية وسياسية لاتغيب عن عيني المراقب البصير ؛ من هنا كان هذا المصطلح في سياق تلك الحقبة مؤشرا على المأزق الحضاري الذي مرت به الأمة. ولم تفلح المصطلحات البديلة أو الرديفة كالنثيرة مثلا في التأسيس لقصيدة النثر كجنس أدبي، فبقيت نصا ملتبسا معزولا إلى حد كبير.

وعلى الرغم من اجتهادات الكثيرين ومن بينهم أدباء وأكاديميون وباحثون سعوا إلى فض هذه الإشكالية،فإنني أعتقد أنهم لم ينتهوا إلى نتيجة

د . أحمد بن عبدالله السالم

■ **لا يضيرنا أن نطلق على قصيدة النثر أي مصطلح آخر، لأنه أبعد عن القصائد، وأقرب إلى الفواصل أو أوزان المقامات التي هي أقرب إلى الشعر من قصيدة النثر ولم تسم شعرا.**

يمكن التسليم بها،وأذكر منهم الشاعر الدكتور عز الدين المناصرة الذي توفر على إصدار كتاب كامل يعتبر من أهم وأغنى الكتب التي ناقشت هذه المسألة، وهو (إشكاليات قصيدة النثر – نص مفتوح عابر للأنواع). وكذلك ماكتبه الدكتور خالد سليمان في كتابه (الجذور والأنساغ) والناقد العربي السعودي محمد العباس الذي أفرد كتابا خاصا لقصيدة النثر.

أما فيما يتعلق بحصاد هذه القصيدة في الأدب العربي المعاصر فنستطيع أن نقول بموضوعية: أن محمد الماغوط الذي توفر على قصيدة النثر استطاع أن يقدم بعض العطاء الذي له نكهة الشعر، ولكن إنتاجه في هذا المجال مثار جدل فيما يتعلق بمضمونه ورؤيته، فله موقفه الفكري ورؤيته الخاصة التي تفتح المجال لكثير من سوء التقدير والتعبير من زوايا متعددة لانطوائها على مايمكن أن يخضع للتأويل الذي يضع الشاعر وصاحبه في دائرة المساءلة.

◁◁ **الدكتور أحمد بن عبدالله السالم** عميد كلية اللغة العربية بجامعة الإمام بالرياض يقول عن رأيه في مصطلح قصيدة النثر: لم يتفق النقاد العرب على تحديد دقيق لمصطلح (قصيدة النثر) وذلك راجع – في نظري- إلى أمرين: أولهما: أنها جنس غربي وضع ليناسب لغات غير العربية وحينما أخذه العرب لم يخضعوه لقوانين اللغة العربية وإنما حاولوا إخضاع اللغة له لشدة ولعهم وانبهارهم بهذا الجنس الأدبي الغربي.

ثانيهما: أن قصيدة النثر لم تعرف عند العرب إلا عام (١٩٥٧م) من خلال (جماعة مجلة الشعر) وهو زمن متأخر لا يمكن معه أن ينضج هذا الجنس الأدبي ليتحدد المصطلح بدقة.

وحيث إن المنظرين لهذا الجنس الأدبي يتناقضون فيما بينهم، بل إن الأديب نفسه قد ينقض ما قاله حيال تحديد هذا المصطلح.

ومما يدل أن هذا الجنس الأدبي لم يتأصل في أذهان المتعاطين معه بعد، محاولتهم تقريبه إلى التراث العربي حيث ينسبون نشوء قصيدة النثر إلى جبران والرافعي بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك بالبحث عن أمثلة لما عند ابن حزم وأبي حيان الأندلسي وابن عربي.

وأرى إن إطلاق قصيدة على هذا الجنس الأدبي فيه مغالطة حتى مع إصرار بعضهم – ومنهم أنسي الحاج – على أن الشعر لا يعرف بالوزن والقافية، وهو بهذا يتحدث عن الشعر بوجه عام دون النظر إلى الشعر العربي الذي تكتب بلغته ما يُعرف بقصيدة النثر.

فالشعر العربي هو كلام العرب الموزون ولا ينبغي أن نحكم على قصيدة النثر بمعزل عن هذا التعريف

د . محمد غنوم

■ **اشتهرت قصيدة النثر كثيرا في الأدب الإنجليزي منذ ثمانينيات القرن الماضي، وبدأت بعض المجلات الأدبية تنشر قصائد النثر جنبا إلى جنب مع «السوناتا».**

إن أردنا تسميتها قصيدة، فالفرنسيون يؤطرون لها بالنظر إلى شعرهم ولغتهم، فينبغي للعرب الاعتزاز بشعرهم ولغتهم، ولا يضيرنا أن نطلق على قصيدة النثر أي مصطلح آخر، لأنه أبعد عن القصائد، وأقرب إلى الفواصل أو أوزان المقامات التي هي أقرب إلى الشعر من قصيدة النثر ولم تسم شعرا.

أما هل قدمت شيئا للشعر العربي المعاصر؟ فهي - من وجهة نظري- لم تقدم شيئا لا في الشكل ولا في المضمون، لأن أهم سمات الشعر - غير القافية- الوزن وهي تخلو منه أو مما انشق منه، والرمزية التي يتغنى بها كثيرون وجدت في الشعر العربي وهي من سمات النثر، بل إن الشعر تميز بأنه منبري بخلاف ما يعرف بقصيدة النثر، وأنها تقرأ كما تسمع، ولا فضل لسماعها من كاتبها على قراءة ما كتب منها، حتى وإن ظهر في كثير منها ملامح إبداعية فهي جنس أدبي متميز.

◁◁ **الدكتور محمد غنوم** أستاذ الأدب الإنكليزي في جامعة الإمام بالرياض، قال في بيان موقع ما يسمى «قصيدة نثر» في الشعر الغربي :

تعتبر قصيدة النثر شكلا أدبيا يكتب نثرا، وله بعض خصائص الشعر (مثل الإيقاع المنتظم، والبنية النسقية المحددة، والسمو العاطفي أو الخيالي) ولكنها تظهر لدى كتابتها نثرا، إذ لا تلتزم بتقسيمات الأبيات الشعرية

استمد هذا الشكل الشعري - النثري اسمه هذا «قصيدة النثر» من مجموعة تشارلز بودلير التي تحمل عنوان «قصائد نثرية قصيرة»، والتي صدرت عام ١٨٦٩م. ومن كتاب قصيدة النثر في الغرب نذكر الشعراء: مالارميه، وريمبو، وهولديرلين، ونوفاليس، وريلكه في القرن التاسع عشر، وآيمي لويل، وجون آشبري في القرن العشرين.

ولا يزال النقاش محتدما بين الأطراف.. بين مؤيد ومعارض، فالبعض يعتبر قصيدة النثر شكلا شعريا، والبعض الآخر يعتبرها شكلا نثريا، وثمة مجموعة ثالثة تعتبرها نوعا أدبيا مستقلا بذاته. أما الذين يعتبرونها شكلا شعريا فيقولون: إنها كذلك بسبب استعمالها الكثيف للاستعارة واهتمامها باللغة. والذين يعتبرونها شكلا نثريا يقولون: إنها كذلك بسبب صلتها «بالقص»، واعتمادها على توقعات القراء في عرض موضوعي للحقيقة، نثرا. أما الطرف الثالث فيقول: إن قصيدة النثر حازت قدرتها على الهدم (إذ إنها ليست شعرا بحتا ولا نثرا بحتا) وذلك من خلال مزجها بين عناصر شعرية وأخرى نثرية، وهذا ما يفسر طبيعتها اللغوية الهجينة.

كان الشاعر ت.س.إليوت معارضا بشدة لقصيدة النثر، مع أنه جرب هو ذاته أن يكتب قصيدة أو قصيدتين، وقد قال في مقدمته لرواية جونا

د . سليمان المنصور

■ **ما الضير من تسمية ما تكتبه تلك الفئة العاجزة عن كتابة (القصيدة العربية) بـ (النثر الجميل)؟! إذ إن أصحابه لا يجيدون كتابة القصيدة (العمودية)، هذا إذا كان ما يكتبونه جميلا!.**

بارينز «غابة الليل»: أن هذه الرواية لا يمكن تصنيفها قصيدة نثر وذلك لأنها لا تملك إيقاع وموسيقا الشعر. مع أن ثمة نقادا كثرا يعتبرون قصصا قصيرة، مثل قصة «يوريكا» لإدغار آلان بو، قصائد نثرية بامتياز.

اشتهرت قصيدة النثر كثيرا في الأدب الإنجليزي منذ ثمانينيات القرن الماضي، وبدأت بعض المجلات الأدبية تنشر قصائد النثر جنبا إلى جنب مع «السوناتا» وقد كان يقال من قبل إن قصيدة النثر مستحيلة في الأدب الإنجليزي لأن اللغة الإنجليزية لا تحكمها قواعد صارمة كالفرنسية، لكن يبدو أن هذا الرأي بدأ يتلاشى مع ازدياد شعبية هذا الشكل الأدبي وظهور مجلات متخصصة في نشره.

◁◁ **الدكتور سليمان عبدالعزيز المنصور** أستاذ البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض يقول:

(الشعر المنثور) أو (النثر المشعور) سمه ما شئت مصطلح فيه خلل واضطراب، لاضطراب ماهية الشيء المقصود، وقد سمى (النقاد) أو بعضهم هذا النوع من الكلام بتلك التسمية مما يوحي باعترافهم به، والذي أراه أنه ليس بشعر، لعدم توافر عناصر الشاعرية فيه.

ونستطيع أن نقول عنه ما نقوله عن سائر الكلام، فحسنه حسن، وقبيحه قبيح، وما الضير من تسمية ما تكتبه تلك الفئة العاجزة عن كتابة(القصيدة العربية) بـ (النثر الجميل)؟! إذ إن أصحابه لا يجيدون كتابة القصيدة (العمودية)، هذا إذا كان ما يكتبونه جميلا.

و(الشعر الحر) يختلف عن (الشعر المنثور)، فالأول شعر، والثاني ليس بشعر، إذ الأول يشتمل على الوزن (التفعيلات) والقوافي في بعض مقاطعه، فهو يكتب بـ (هندسة) وفن، فهو متحرر من أوزان (الخليل بن أحمد)، وأوزان الخليل ليست قرآنا، كما أن الشعر(الحر) - في نظري - أصعب من (الشعر العمودي)، والذي يكتب الحر قادر على كتابة العمودي، لغنائيته وانسيابيته، بمعنى أن اللجوء إليه من باب إثبات البراعة على كتابة هذا اللون الجديد، ودلالة على القدرة ومجاراة التطور، الذي يبرز بشكل أكبر في (الشكل)، وربما يتحقق في (المضمون) من حيث التكثيف والاختزال والرمزية المغرقة، مما يكشف لنا فشلهم.

في حين أن أصحاب (الشعر الحر) لا زالوا صامدين وبريقهم يؤكد ذلك، من أمثال نزار قباني، ومحمود درويش، وصلاح عبدالصبور، وأمل دنقل، وغيرهم كثير.

د . محمد أحمد العامري

■ ما قدمته قصيدة النثر لأدبنا العربي أضعف مزاعم المنظرين لها، الزاعمين أنها الأمل النهائي لإنقاذ أدبنا العربي من أزماته، فكانت أزمة مضافة إلى أزماتنا الأدبية المعاصرة.

◁◁ **الدكتور محمد أحمد العامري** الأستاذ بكلية الآداب بجامعة صنعاء يقول:

أظن أن أزمتنا مع هذه الفنون الجديدة، الوافدة في معظمها ليست أزمة محتوى بقدر ما هي أزمة مصطلح، وأيضا أزمة فقدان هوية، وانبهار بالآخر وما عنده حتى النخاع، وأزمة عقم في الذات وعدم قدرة على التمييز كثيرا، الأمر الذي جعل كل ما يمكن أن نستفيده من الآخر لإثراء ما عندنا يعود علينا بالتأزيم، ذلك أن وسطاء النقل قليلوا القدرة على إحسان الأخذ، والتكييف بين الجيد عند الغير وبين ما هو أصيل جيد عندنا، أو غافلون أو متغافلون عن حتمية تأثير الخصوصيات التي أفرزت الآداب والفنون، ثم إن بعضا ممن يتصدر أو يتبنى الجديد ضعيف الصلة بتراث الأمة، فاقد الأصالة، علمه بالآخرين وآدابهم أكثر من علمه بآداب وخصوصية أمته ولغته، حتى أصبحوا مسخا، فلا هم أصبحوا الآخر، ولا هم تمثلوا المفيد أينما وجد.

أما مصطلح قصيدة النثر فهو يحمل التناقض والاضطراب من عنوانه، ذلك أن أدبنا ينقسم إلى شعر ونثر، ولكل سماته ووظيفته، وهذا المصطلح يوحي أن هناك شعرا «قصيدة» يكون نثرا، أو نثرا يمكن أن يكون شعرا «قصيدة»، وهذا نموذج من الاضطراب الذي حل بالجنس الشعري في أدبنا العربي. إنه يمكن لنص نثري أن يكون راقيا جميلا يزن قصائد عدة، لكنه سيظل نثرا، كما أن من القصيد ما يفقد الشعرية والجمال لكنه وإن خرج من دائرة الشعر لن يدخل في بوابة النثر.

أعود فأقول: إن أزمتنا أزمة مصطلحات لا مضمون، إذ يمكن أن نجد فنونا وأجناسا أدبية لها إسهامات لكن ينبغي أن نبتكر لها مصطلحات تلائمها، كما ابتكر السابقون مصطلحات للفنون التي استحدثت «مقامة، مناظرة، رسائل، كتابات» لا أن ندخل كل جديد في إطار القديم وإن خالفه في أساسياته وغير من ثوابته. لكن العقم، والمحاكاة والاكتفاء بالترجمة أدخل شعرنا العربي في متاهة يعزُّ معها تحديد ماهيته أو تمييزه عن فنون النثر الأدبي، ربما يكون من عوامل ذلك فضلا عما سلف هو عقدة الشعور بتفوق الشعر على النثر في أدبنا العربي على حد قول المرحوم علي الطنطاوي: «أعجزتهم القافية أن يصعدوا إليها فأنزلوها إليهم، وعجزوا أن يحملوا قوة الشعر فحملوه ضعفهم».

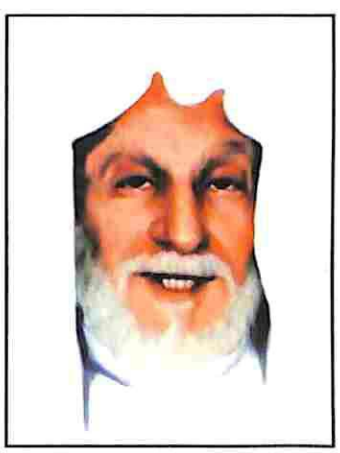

الطنطاوي

د. علي بن محمد الحمود

■ **إن الاتجاه إلى قصيدة النثر مع الإصرار على تسميتها قصيدة غالباً ما يعبر عن افتقاد الكتاب موهبة إبداع الشعر، مع حرصهم على أن يصبحوا شعراء، فوجدوا فيها متنفساً لهم ومدخلاً يدخلون من خلاله إلى عالم الشعر.**

أما ما قدمته قصيدة النثر لأدبنا العربي فلا يعدو أن يكون إضافة سيئة إلى ما هو عندنا ضعفا وركاكة في جل نماذجها، وذلك أضعف مزاعم المنظرين لها، الزاعمين أنها الأمل النهائي لإنقاذ أدبنا العربي من أزماته، فكانت أزمة مضافة إلى أزماتنا الأدبية المعاصرة.

◄◄ **د. علي بن محمد الحمود** الأستاذ بقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بجامعة الإمام بالرياض يقول:

إن ما يثار حول ما يُعرف بقصيدة النثر من إشكالات يعدّ من أبرز القضايا النقدية المعاصرة التي استحوذت على اهتمام النقد والنقاد المعاصرين، فالمتابع للساحة الأدبية والنقدية يجد اختلافاً واضحاً في النظر إلى هذا الجنس الأدبي.

والخلاف حول هذا الجنس الأدبي يمثل في حقيقته أنموذجاً جلياً للفوضى النقدية التي نعيشها، فهناك اضطراب في استعمال المصطلحات النقدية والأدبية، أسهمت في بروز ظاهرة التداخل بين الأجناس الأدبية، إذ غابت عن بعض النصوص الملامح التي تميزها عن غيرها، فلغة الشعر زحفت إلى بعض نماذج الفن القصصي، واختلطت السيرة بالرواية التي أخذت من المسرحية بعض خصائصها.

ويندرج في هذه القضية مصطلح قصيدة النثر، فشيوع هذا المصطلح والإصرار على نشره يمثل صورة من صور الفوضى في مشهدنا النقدي المعاصر ؛ فإذا كان للشعر خصائص فنية تميزه عن النثر، وفي مقدمتها الموسيقا، فإن قصيدة النثر تفتقد جزءا مهما من هذا العنصر يتمثل في الموسيقا الخارجية (الوزن والقافية) ، ومن هنا كيف نطلق على هذا القول النثري مصطلح الشعر !؟

وهناك ملمح آخر يتمثل في التناقض في التسمية، فكيف تكون قصيدة وفي الوقت ذاته تكون نثراً، ويبدو أن هذا التناقض يعبر عن التناقض الكبير الذي تعيشه الساحة النقدية والأدبية المعاصرة.

والجانب الآخر الذي أرغب في الإشارة إليه في هذه العجالة يتمثل في أن النماذج التي قدمتها قصيدة النثر منذ نشأتها حتى يومنا هذا – لا تعدو أن تكون في مجملها مجرد محاولات لم تتمكن من مزاحمة الشعر العمودي أو حتى شعر التفعيلة بصورة واضحة، وذلك على نطاق المتلقين والنقاد.

ومن هنا أستطيع القول: إن الاتجاه إلى قصيدة النثر مع الإصرار على تسميتها قصيدة غالباً ما يعبر عن افتقاد الكتاب موهبة إبداع الشعر، مع حرصهم على أن يصبحوا شعراء، فوجدوا فيما يعرف بقصيدة النثر متنفساً لهم ومدخلاً يدخلون من خلاله إلى عالم الشعر.

د . إبراهيم محمد الشتوي

■ **بالنظر إلى المعنى اللغوي لكلمة قصيدة فإن تسمية قصيدة النثر صحيحة، والاعتراض على التسمية لا يستقيم، فالمعنى أن صاحب النص يقصد إلى ما يريد أن يقوله قصيدا.. شعرا كان أم نثرا.**

وإخراج قصيدة النثر من دائرة الشعر لا يعني بأي حال من الأحوال التقليل من قيمتها الفنية، أو رفضها بوصفها فناً قولياً أو نصاً أدبياً، لكن الرفض يتجه إلى إطلاق صفة الشعر عليها، وإلا فإنها فن أدبي قولي نثري يتداخل مع الشعر في جانب التخييل والاهتمام باللغة المحلقة، ويفارقه بافتقاده عنصر الموسيقا .

◁◁ **الدكتور إبراهيم محمد الشتوي** الأستاذ بجامعة الإمام بالرياض يتحدث عن مشروعية قصيدة النثر قائلا:

تعود الإشكالية التي يطرحها النقاد عن قصيدة النثر حول مسألة التجنيس، إذ يكاد يتفق الجميع على أن الجدل ليس حول فنية القصيدة أو جمالياتها بقدر ما هو حول مشروعية تسميتها بالشعر، وهم ينطلقون في ذلك من مفهوم الشعر الذي ارتبط في الفكر النقدي العربي بالإيقاع أو بالوزن كما في تعريف قدامة بن جعفر. على أن هؤلاء لا يذكرون أن هذه القواعد التي تمتلئ بها كتب النقاد إنما وضعت بعد الشعر ولم يستنبط الشعر منها، بمعنى أن هذه القواعد قد استنبطت من الشعر الذي كتب في مرحلة معينة، وهنا يأتي السؤال أيجب على المراحل المختلفة أن ترتهن في مفهوماتها الجمالية والفنية لمرحلة واحدة مهما كانت قيمتها؟

على أن القول: إن إضافة «قصيدة» لـ«النثر» يمثل نسبة هذا المنتج النصي إلى الشعر ليس على إطلاقه، فالقصيدة على وزن فعيلة بمعنى مفعول، وذلك أن صاحبها يقصد إلى ما يريد أن يقوله قصدا، فهو قد «قصد واعتمد» على رأي ابن جني كما أورده صاحب اللسان، أو يسلك طريقا قصدا فيما يريد أن يقول، فالشاعر قصد إلى عملها على تلك الهيئة كما يرى ابن رشيق، وعلى هذا فكما يقصد القائل ما يريد أن يقوله في الشعر يمكن أن يقصده في النثر أيضا، وهو ما يعني صحة تسمية قصيدة النثر سواء، أكان هذا من الشعر أم نوعا آخر من النثر يتسم بسمة القصد والتقصيد، ومن هنا فإن الاعتراض على التسمية من وجهة نظري لا يستقيم سواء على الاعتبار الأول أو على الاعتبار الثاني.

على أن الاعتبار الثاني سيفتح المجال للبحث عن جنس ثالث في العربية خارج من رحم الشعر والنثر، يحمل بعضا من سمات الشعر وبعضا من سمات النثر، وإن كان في أساس تكوينه ما يمنع من جعله شعرا ■